المحور الثالث: السياسة الخارجية صينية

د/ محزم عبد المالك

قسم العلوم السياسية، جامعة أم البواقي

قد يبدو من الصعب اليوم تصديق ما حدث؛ ولكن دورية فورين أفيرز المرموقة كانت قد نشرت قبل وقت ليس ببعيد، مقالاً مهماً بعنوان: **هل يهمنا أمر الصين ؟**. هذا السؤال ربما كان، حتى أواخر تسعينيات القرن الفائت، ما يزال جديراً بالنقاش والجدل أما الآن فيكاد الجميع قاطبة، يقر بأن أمر الصين صار يهمهم حقاً؛ نظراً إلى ما باتت تتمتع به من ثقل متنام في الشؤون العالمية، وقدرة متعاظمة على تحديد معالم النظام العالمي المستقبلية، سواء أجاءت النتائج موائية أم لم تأت كذلك.(خلال العقود الأربعة الماضية، انتقلت الصين من كونها دولة معزولة ومنفصلة عن المجتمع الدولي، إلى إحدى القوى الكبرى في العالم. ومن الضروري أن نفهم ما الذي يوجه السياسة الخارجية الصينية، وسبب ذلك، وليس أقله نوع القوة التي تمثلها الصين والتي ستكون عليها في المستقبل. ()

لعل الأرقام ستقيم الدليل في الحال، على ارتقاء الصين حثيثاً لشغل أحد مراكز القوة العالمية؛ فسكانها وجيشها على المستوى العالمي، هما الأكبر، ونفقاتها العسكرية تأتي في المرتبة الثانية، وتمتلك الترسانة الكبرى الثالثة أو الرابعة من الأسلحة النووية؛ وهي أحد أعضاء مجلس الأمن الخمسة الدائمين العضوية الذين يحق لهم استخدام حق النقض (الفيتو)، واقتصادها هو الأسرع نمواً طوال السنوات الثلاثين الماضية، وهو حالياً ثاني أكبر اقتصادات العالم، وتحتفظ الصين في خزائنها باحتياطي من العملات الأجنبية هو الأضخم عالمياً، فضلاً عن أنها عالمياً أيضاً، أكبر مستورد للحديد الخام والألمنيوم والورق، وثاني أكبر مستهلكي النفط، وهي تتصدر قائمة الدول التي ينبعث منها القدر الأكبر من الغازات المسببة للاحتباس الحراري، ومستخدمو الهاتف المحمول وشبكة الإنترنت فيها هم الأكبر عدداً، واللغة الصينية هي العالية بالنسبة إلى محتوى هذه الشبكة وهي ثالثة كبرى دول العالم من حيث عدد براءات الاختراع التي تسجل فيها بعد الو . م. أ. وإضافة إلى ما تقدم، فقد أمكن الصين أيضاً بلوغ مكانتها هذه، عبر قنوات أخرى أقل وضوحاً -برغم أهميتها -أكسبتها قدراً مهماً من القوة والنفوذ؛ فالصين تتمتع اليوم بوجود دبلوماسي نشيط ومتنام في كل أنحاء العالم بينما يتسع نطاق مشاركاتها في مجموعة عريضة من المنظمات المتعددة الأطراف، حكومية كانت أو غير حكومية، بما فيها تلك المعنية بإحلال النظام والاستقرار عالمياً. ولم يعد خافياً على أحد الحضور البارز للشركات الصينية ورجال الأعمال والمستثمرين الصينيين، بدءاً من عواصم العالم الرأسمالي، وانتهاء بأبعد المناطق النائية من العالم، وفي كل ما بينهما في سباق مسعى جماعي لجني الأرباح والقيم المضافة التي تمنح الحملة الأسهم، وتتنامى تصاعدياً، في تلك الأثناء، الاستثمارات الصينية الخارجية المباشرة إذ ارتفعت من 2.7 من مليارات الدولارات الأمريكية عام 2003 إلى 100 مليار دولار أمريكي أو أكثر عام 2009 (كما يتوقع لها). ومنذ عام 2004، أسست الحكومة الصينية في أكثر من 80 بلداً، ما يزيد على 300 معهد تحمل اسم "معهد كونفوشيوس"، والمعاهد تقام عادة في الجامعات تشجيعاً لدراسة لغة الصين وثقافاتها وتاريخها، بينما تضع الصين خططاً تطمح إلى إقامة مئات أخرى من هذه المعاهد في السنوات المقبلة. ويذكر أن الصين أرسلت عام 2008، ما يناهز 180 ألف طالب للدراسة في الخارج، واستضافت قرابة 190 ألف طالب ينتمون إلى أكثر من 188 دولة ومنطقة للدراسة في الصين، وتتعاظم سريعاً المعونات الصينية الرسمية المقدمة لدول العالم النامي، سواء التنموية منها أو غيرها. وعلى صعيد آخر، ازدادت إسهامات الصين في قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة 20 ضعفا منذ أواخر تسعينات القرن العشرين.

1- لمحة تاريخية:

لم تعاني الصين قط من الاستعمار الأوروبي المباشر على أي نطاق واسع. ومع ذلك، ينظر الصينيون إلى السنوات الـ 200 التي سبقت الحرب العالمية الثانية على أنها فترة ضعف وطني، عندما أذلّتهم الدول الغربية بإجبارهم على قبول مجموعة واسعة من المعاهدات بشروط غير متكافئة. ومنذ ذلك الحين، عمل قادة الصين على ضمان أن تكون دولتهم قادرة على تحديد مصيرها بنفسها. وكما قال الجنرال:" لي جيجون" من جيش التحرير الشعبي الصيني في خطاب ألقاه في الكلية الحربية للجيش الأمريكي في عام 1997: قبل عام 1949، عندما تأسست جمهورية الصين الشعبية، فرضت القوى الغربية على الصين أكثر من 1000 معاهدة واتفاقية، معظمها غير متكافئ في شروطه. كما تم انتزاع ما يصل إلى 1.8 مليون كيلومتر مربع من الأراضي الصينية. كانت هذه فترة إذلال لا يمكن للصينيين أن ينسوها أبدًا. لهذا السبب يُظهر الشعب الصيني مثل هذه المشاعر القوية في المسائل المتعلقة باستقلالنا الوطني ووحدتنا وسلامة أراضينا وسيادتنا. وهذا أيضًا هو سبب تصميم الصينيين على حمايتها تحت أي ظرف من الظروف وبأي ثمن. كل أمة تقدر حقها في تقرير المصير، ولكن الصينيين يعتزون بهذا المبدأ بشغف يبدو أنه قد تلاشى في أمريكا وأوروبا الغربية. يفهم الصينيون السيادة كشيء ملموس. وبالنسبة لهم، فإن الاعتراف النظري باستقلال الدولة لا معنى له ما لم تكن حكومتها قادرة بالفعل على التصرف كما تراه. ولأن جميع الدول، كما يلاحظ علماء السياسة في كثير من الأحيان، عالقة في حالة ما يسمى بالاعتماد المتبادل المعقد مع بقية العالم، فإن هذا يعني أن بكين قبلت تحدياً هائلاً. ولتحقيق هذا النوع من الاستقلال الذي يرغبون فيه، يجب على قادة الصين أن يجدوا طريقة للتأثير على كل ما لديه القدرة على التأثير عليهم. وهذا يعني أن الصين تحتاج إلى سياسة خارجية قوية وبعيدة المدى بشكل استثنائي. في كل مكان تكون فيه المصالح الصينية على المحك -وهذا يعني في عالم مترابط، في كل مكان -يجب على الصين أن تؤكد وجودها. في المصطلحات الإدارية المعاصرة، يجب أن تكون جمهورية الصين الشعبية استباقية. هذا المفهوم هو عنصر أساسي في الفكر الاستراتيجي الصيني التقليدي. فلا يجب أن يكون لدى الصين اقتصاد قوي بما فيه الكفاية لتلبية احتياجاتها وجيش قوي بما فيه الكفاية لمقاومة الضغوط الخارجية فحسب، بل يجب أن تعمل الصين على إعادة بناء نظام دولي يدعم نظامها السياسي الداخلي. تظهر هذه الأفكار في وقت مبكر في الفكر السياسي الصيني الشيوعي. خلال ثلاثينيات القرن العشرين، كان العديد من الثوريين الصينيين قلقين بشأن التوتر بين تطلعات الصين للاستقلال والمبادئ الشيوعية الأممية. أوضح ماو تسي تونغ أن الاستقلال له الأسبقية.

على مدى العقود الثلاثة التالية، واصلت الصين الإصرار على استقلالها بقوة أكثر من أي وقت مضى، وظل قادتها ملتزمين بفكرة أن سيادتهم تعتمد على الهيكل العام للسياسة العالمية. كرر الراديكاليون نقاط ماو ودعوا الصين إلى مواصلة ثورتها على نطاق عالمي. على سبيل المثال، حثّ لين بياو مواطنيه على "رفع الراية الوطنية عاليًا"، وحثهم على حمل النضال الشيوعي خارج حدود الصين . برر "لين بياو" الثورة العالمية كوسيلة لخلق نظام عالمي يدعم النظام الصيني.

استخدم المفكرون الصينيون الأقل تشددًا مبادئ مماثلة لانتقاد المفاهيم التقليدية والسوفيتية للقانون الدولي. وهاجم علماء القانون الصينيون وجهات النظر الحالية للدولة كدعائم للهيمنة الروسية والغربية، لكنهم أصروا على أهمية سيادة الدولة المطلقة ، بسبب فائدتها لبلدهم. واستشهد الصينيون باتفاقيتهم التجارية لعام 1954 مع الهند كنموذج لنظام قانوني أكثر عدالة، استنادًا إلى مبادئ الاحترام المتبادل لسلامة الأراضي وعدم الاعتداء وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى والمساواة والتعايش السلمي. خلال التسعينيات، انتقد المفكرون العسكريون الصينيون أيضًا وجهات النظر التقليدية للسيادة. وعلى الرغم من أنهم أشاروا إلى أن النكران الأمريكي والياباني للتهديد العسكري لا يتضمن السيادة كشاغل صريح، إلا أنهم أكدوا للغرباء أن نظرتهم تتضمنها. ومثلما فعل "ماو ولين بياو"، أنكر المفكرون الصينيون الحديثون ، أن الدفاع عن السيادة الصينية يشمل الدفاع عن نظام دولي يدعم النظام السياسي الصيني.

ويذكر الكتّاب في صحيفة الجيش الصيني "جيفانغجون باو" أن التهديد قد لا ينشأ فقط من الأعمال العدائية المباشرة، ولكن من "التناقضات الأساسية أو تضارب المصالح، مثل النظم الاجتماعية والأيديولوجيات المتعارضة وكذلك النزاعات في المصالح الاقتصادية والحقوق الإقليمية والمحيطية.[)

منذ أن أصبح العالم مدركًا للقوة الاقتصادية المتنامية للصين، كان هناك جدل حول الدور الذي ستلعبه البلاد في الشؤون الدولية. وقد اكتسب هذا النقاش في السنوات الأخيرة حافة أكثر حدة مع ازدياد حزم الصين في عهد الرئيس شي جين بينغ. وقد أدت تصرفات الصين في بحري الصين الجنوبي والشرقي وإنشاءها للبنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية (AIIB) وسعيها إلى استراتيجية "حزام واحد، طريق واحد" البحرية والقارية إلى تدقيق أكثر كثافة في النوايا الصينية.

2- مبادئ ومرتكزات السياسة الخارجية الصينية:

هناك مجموعة من العناصر الحيوية والأفكار التي توجه السياسة الخارجية الصينية وأولوياتها وعملية صنع القرار. ويظهر جليا من خلال الممارسات اليومية للصين في محيطها الإقليمي وعلى المستوى الدولي، أن سياسة الصين الخارجية جزء لا يتجزأ من القضايا الداخلية. فالهدف الأبرز للسياسة الخارجية **هو الاستقرار السياسي الداخلي**، وهو بدوره ضرورة حيوية لبقاء **حكم الحزب الواحد.** وتعتمد تلك الأهداف على مزيج من عاملين رئيسيين: **استمرار النمو الاقتصادي المحلي والدولي**. وترتبط السياسة الخارجية أيضًا ارتباطًا وثيقًا بالتصور **الصيني للذات، سواء ثنائية التفوق الذاتي/الدونية الذاتية، أو تعدد الهويات (المتداخلة) المربكة حول ماهية الصين**؛ وما ينبغي أن تكون عليه.

3- أهداف السياسة الخارجية الصينية:

تسعى بكين إلى مجموعة من المبادرات العالمية المصممة لتفكيك الغرب والدخول في نظام معادٍ للديمقراطية. فهي تدعم الديكتاتوريات التوسعية في روسيا وإيران وكوريا الشمالية وفنزويلا. كما أنها ضاعفت ترسانتها النووية منذ عام 2020، وتقوم ببناء قواتها التقليدية بشكل أسرع من أي دولة أخرى منذ الحرب العالمية الثانية. تُظهر هذه الإجراءات أن الصين لا تسعى إلى طريق مسدود. ولا ينبغي لأمريكا أيضًا

3-1 تنطلق الصين في تبرير وتجسد أهدافها في السياسة الخارجية من خلال سرديات تبثها على المستوى المحلي والدولين وعلى من أننا قد نختلف مع هذه السرديات وإمكانية تصديق الشعب الصين لها، أو قبولها من قبل العلام الخارجي على انها تبقى حاضرة تساعدنا في فهم بعض الأفعال التي تقوم بها الصين على الساحة الدولية والإقليمية:

أ. سردية قرن الإذلال:

إن رواية السياسة الخارجية التي يفهمها صانعو السياسة والمراقبون خارج الصين على نطاق واسع هي قرن الإذلال (المعروف أيضًا باسم مائة عام من الإذلال). ويستخدم هذا المصطلح على نطاق واسع بين صانعي السياسة الصينيين كاختصار لوصف كيف أن إحساس الصين بدورها المركزي في الشؤون العالمية، قد أضعفته التوغلات الغربية التي بدأت مع حروب الأفيون في أربعينيات القرن التاسع عشر. غالبًا ما يعتمد الصينيون على روايات الإذلال كنقطة انطلاق لمناقشاتهم حول كيفية تفاعل الصين مع الدول الأخرى. منذ عام 1959، أشار معلق أمريكي إلى أنه "لدى الصينيين تعميم واحد واسع للغاية حول تاريخهم: فهم يفكرون من منظور "حتى حرب

الأفيون"* و"ما بعد حرب الأفيون"؛ وبعبارة أخرى، قرن من الإذلال والضعف الذي يجب محوه. في حين أن سردية الإذلال موجودة منذ أوائل القرن العشرين، إلا أن الدولة الحزبية قد رعتها بشكل خاص على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية. ومنذ حملة التربية الوطنية في أوائل التسعينيات، والتي ظهرت في أعقاب المواجهة العنيفة مع المتظاهرين في ميدان تيانانمن في عام 1989، أكدت دولة الحزب على سردية الإذلال والإهانة التي تلقي باللوم على الغرب في معاناة الصين. وكان تسليم هونغ كونغ إلى بكين في عام 1997 لحظة حاسمة أخرى في إعادة ظهور رواية الإذلال. وفي الآونة الأخيرة، يظهر ذلك في تطور ما يسمى ب "السياحة الحمراء". حيث تعرض المواقع التاريخية مثل القصر الصيفي القديم في بكين لافتات - باللغة الإنجليزية وكذلك الصينية - تذكر الزائر كيف كان الموقع مجيدًا قبل أن تدمره القوات الأنجلو-فرنسية. وقد أشارت الخطة الخمسية الثانية عشرة للصين (2011-2015) بشكل خاص إلى أهمية تطوير السياحة الحمراء (بشكل صارم، كوسيلة لتعزيز الوطنية. تبدو الإشارات المستمرة داخل الصين إلى فترة الضعف هذه في تاريخ الصين غريبة بالنظر إلى نمو القوة الاقتصادية والعسكرية الصينية. فوفقًا لقياسات الناتج المحلي الإجمالي، تعد الصين اليوم ثاني أكبر اقتصاد في العالم، بعد الولايات المتحدة وأمام اليابان. ومن الناحية العسكرية، تحتل الصين المرتبة الثالثة من حيث القوة العسكرية بعد الولايات المتحدة وروسيا، ومع ذلك، فإن حسابات الضعف والخسارة هي جانب حاسم من جوانب الهوية الوطنية الموحدة التي تستخدمها دولة الحزب لضمان الاستقرار وشرعية الحزب الشيوعي الصيني. إن الإذلال الذي عانت منه الصين في الماضي يعني أنها يجب أن تكون الآن قوية وموحدة ضد ما يوصف بـ "التوغلات الأجنبية"، سواء كانت إقليمية أو اقتصادية أو سياسية اجتماعية أو ثقافية. وعلاوة على ذلك، يُقال إنه فقط من خلال وجود دولة مستقرة وموحدة يمكن للصين أن تستعيد "مكانتها السابقة والصحيحة" باعتبارها "دولة قومية محبة للسلام ومعززة للوئام ومحترمة دوليًا". ولهذه الآراء أيضًا غرض سياسي مهم، حيث أنها تعمل في نهاية المطاف على دعم الرواية الأوسع نطاقًا بأن الحزب الشيوعي الصيني هو الكيان الوحيد الذي كان بإمكانه قيادة الصين بنجاح من ضعفها السابق، وهزيمة اليابانيين، والدخول في "الصين الجديدة ".

ب. **سردية الخصائص الثقافية الثابتة (غير المتغيرة):**

أما السردية الثانية والأقل شيوعًا بالنسبة للمراقبين الخارجيين للصين فهي وجهة النظر المشتركة على نطاق واسع بأن الخصائص الثقافية متأصلة وغير متغيرة. وعلى الرغم من أنها ليست رواية رسمية كما هو الحال مع رواية قرن الإذلال، إلا أنها موقف شائع يتم التعبير عنه في كل شيء بدءًا من التصريحات الرسمية إلى المحادثات الخاصة. تتمثل إحدى الطرق الرئيسية التي تؤثر بها هذه السردية على كيفية علاقة الصين بالعالم في الاعتقاد بأن الصين كانت دائمًا جهة فاعلة سلمية بطبيعتها، ولم تكن أبدًا عدوانية توسعية. ويقال إنه نظرًا لأن الصين تصرفت بهذه الطريقة في الماضي، فمن المتوقع أن تتصرف بالطريقة نفسها في المستقبل. وكما أوضح الرئيس "شي جين بينغ" في خطاب ألقاه في ألمانيا في عام 2014: "الأمة الصينية أمة محبة للسلام. والسعي الأعمق للأمة له أصله في الشخصية الوطنية التي تشكلت عبر الأجيال. فالحضارة الصينية، التي يمتد تاريخها لأكثر من 5000 عام، كانت دائمًا تعتز بالسلام. إن السعي إلى السلام والمودة والوئام هو جزء لا يتجزأ من الشخصية الصينية التي تسري في أعماق دماء الشعب الصيني. في العصور القديمة، كانت البديهيات التالية شائعة بالفعل في الصين: "الدولة المحاربة، مهما كانت كبيرة، ستفنى في النهاية". "السلام له أهمية قصوى". "ابحثوا عن الوئام دون توحيد". "استبدلوا أسلحة الحرب بهدايا من اليشم والحرير". "تحقيق الرخاء للأمة والأمن للشعب". "تعزيز الصداقة مع الجيران". "تحقيق السلام العالمي". لقد توارثت هذه البديهيات في الصين من جيل إلى جيل. كانت الصين لفترة طويلة واحدة من أقوى الدول في العالم. ومع ذلك لم

* حروب الأفيون هما حربان سميتا بحرب الأفيون، اندلعت الحربان بين الصين الامبراطورية المحكومة أنذاك من قبل سلالة تشينغ وبريطانيا. وفي الثانية، انضمت فرنسا إلى جانب بريطانيا. وكان السبب هو محاولة الصين الحد من زراعة الأفيون واستيراده، مما حدا ببريطانيا أن تقف في وجهها بسبب الأرباح الكبيرة التي كانت تجنيها بريطانيا من تجارة الأفيون في الصين. قامت حرب الأفيون في عام 1839 م، وكان من نتائجها أن أصبحت هونغ كونغ مستعمرة بريطانية. أرتكبت في هذه الحروب مجازر وحشية من البريطانيين وحلفائهم، وخالفوا كل القيم الدينية والبشرية وعملوا على نشر تعاطي الأفيون بين الشعب الصيني، استمر هذا الداء مستشريًا في الصين حتى مطلع القرن العشرين حتى قضي على تعاطيه نهائيًا في عهد ماو تسي تونغ القيادي الصيني الشيوعي

تنخرط أبدًا في الاستعمار أو العدوان. إن السعي لتحقيق التنمية السلمية يمثل التقليد الثقافي المحب للسلام للأمة الصينية على مدى آلاف السنين الماضية، وهو تقليد ورثناه وننقله إلى الأمام. وينعكس هذا الرأي في أعمال كبار الباحثين الصينيين في مجال العلاقات الدولية مثل "لي أنشان" من جامعة بكين الذي يرى أن السياسة الخارجية الصينية المعاصرة والمستقبلية، هي امتداد للمثل الكونفوشيوسية التاريخية المتمثلة في الإحسان ، والتحمل، والثقة ، والمساواة ، وكما قال أحد طلاب الجامعات الصينية لكاتب المقال في بكين:" "لأن الصين اتبعت دائما سياسة خارجية مستقلة للسلام، تأمل الصين أن يكون لدينا تعايش سلمي طويل الأمد مع البلدان الأخرى. ونريد الحصول على بيئة دولية سلمية ومستقرة. إن تنفيذ بلدنا لهذه السياسة رسمي وصادق ولن يتغير على المدى الطويل، لأنه يتوافق مع المعتقدات الأساسية للشعب الصيني. فالشعب الصيني المحب للسلام يمقت العدوان مقتا شديدا ولن يفرض أبدا مثل هذه المعاناة على الآخرين".

قد يعترض العديد من المؤرخين على سرد تاريخ الصين ، الذي يؤكد على سلميتها. يجب النظر إلى تفسيرات الصين لسياستها الخارجية بشكل نقدي. ولكن المهم ليس ما إذا كانت الصين مسالمة بطبيعتها أم لا. ما يهم هو إلى أي مدى يرى الصينيون أنفسهم على أنهم مسالمون بطبيعتهم، وكيف يشكل هذا التصور الذاتي الطريقة التي تتصرف بها الصين في العالم.ومع ذلك، فإن الرأي القائل بأن الخصائص الثقافية فطرية لا ينطبق فقط على الصين. فهي تنطبق أيضًا على الدول الأخرى.

ج. سردية التاريخ كمصير:

ترتبط بقوة بالروايتين الأوليين فكرة أن التاريخ هو أساس الحاضر والمستقبل. فوفقًا لهذه السردية، كانت الصين لاعبًا عالميًا قويًا ومحترمًا ومسالمًا في الماضي، وسيكون هذا هو دورها الطبيعي والشرعي مرة أخرى في المستقبل. ولكن، مثلما طوّقت القوى الدولية المعادية الصين ودفعتها من هذا الموقع خلال قرن الإذلال، ستستمر هذه القوى في محاولة "إبقاء الصين في موقفها." ولفهم رؤية الصين لنفسها كفاعل عالمي مهم بشكل أفضل، من المفيد أن نوجز بإيجاز نظام الجزية المتمركز حول الصين للعلاقات الدولية في شرق آسيا الذي كان قائماً حتى نهاية القرن التاسع عشر. في نفس الوقت الذي كان النظام الدولي الواستفالي للدول القومية يتطور في العالم الغربي، كانت السياسة العالمية في شرق آسيا تعمل وفق نموذج مختلف تمامًا. فعلى مدى أكثر من 2000 عام، ترأست الصين شبكة من العلاقات التجارية والخارجية التي كانت الدول المجاورة وبعض الدول البعيدة تدفع فيها "الجزية" مقابل مزايا اقتصادية وأحيانًا أمنية. وكان الهدف من ذلك هو الحفاظ على نظام إقليمي مستقر ظلت فيه الكيانات الأعضاء مستقلة سياسياً ولكنها كانت تعترف بالصين ثقافياً. لم تكن هناك قواعد محددة تنطبق على جميع الأعضاء، ولكن بشكل عام، كان من المتوقع أن يقدموا جزية منتظمة في شكل مدفوعات اقتصادية، بالإضافة إلى "الخضوع" للإمبراطور. على مدى عمر نظام الجزية، كان من بين الأعضاء في آسيا اليابان وفيتنام وماليزيا والفلبين وتايلاند. كما كانت فرنسا والمملكة المتحدة وهولندا جزءًا من الشبكة. وتنعكس فكرة استئناف الصين لدورها الطبيعي في العالم كطرف قوي ومحترم، ولكن مسالم دائمًا، في فكرة الرئيس شي جين بينغ عن "حلم الصين". في عام 2012، قال شي: " في رأيي أن تحقيق التجديد العظيم للأمة الصينية هو أعظم حلم للأمة الصينية في التاريخ الحديث. لقد جمع الحلم الصيني تطلعات عدة أجيال من الشعب الصيني منذ زمن طويل، ومثّل المصالح العامة للأمة الصينية والشعب الصيني، وكان تطلعًا مشتركًا لكل صيني".

لطالما استخدم التاريخ في الصين كأداة لإنتاج الولاء لرؤية معينة للدولة القومية الصينية وللحزب الشيوعي الصيني. كانت سردية التاريخ كقدر جانبًا رئيسيًا من جوانب حملة التثقيف الوطني التي أطلقت بعد أحداث ميدان تيانانمن في عام 1989. سعت الحملة إلى تأسيس شرعية الحزب على إعادة بناء الرفاهية المادية للبلاد وحمايتها من القوى الدولية المعادية. وتقترن رواية أن التاريخ "يستكمل مساره الطبيعي" ويعيد الصين إلى دور مركزي في الشؤون العالمية،بوجهة النظر القائلة بأن الحزب الشيوعي الصيني هو العامل الوحيد الذي يمكن تصوره لتجديد شباب البلاد على المستوى الدولي. ووفقًا لهذا الرأي، فإن انتصار الصين على اليابان - الذي تم تقديمه على أنه

انتصار بقيادة الحزب الشيوعي الصيني - وتأسيس الصين الجديدة في عام 1949 قد أعاد الصين إلى "مسارها الصحيح". ومع ذلك، نادرًا ما يتم الاعتراف بالدور الذي لعبه الحزب القومي الصيني (غومينداغ أو الكومينتانغ) في هزيمة اليابانيين في الحرب العالمية الثانية.

ووفقًا لهذه السردية، فإن الصين الآن في وضع جيد لاستعادة دورها الصحيح كلاعب عالمي مركزي ومهم. ما يعنيه هذا من الناحية العملية لا يزال غير محدد إلى حد كبير، على الأقل في العلن. واتساقًا مع الروايات الأخرى المذكورة أعلاه، يتم تصوير عودة الصين الحتمية إلى السلطة على أنها لا تشكل تهديدًا لبقية العالم، حيث ستتصرف الصين بشكل سلمي وخير كما كانت تفعل دائمًا في الماضي. إن أي مخاوف تثيرها الدول الأخرى بشأن طبيعة صعود الصين وتداعياته يتم تفسيرها - ورفضها - على أنها استمرار لمهمتهم التاريخية لإبقاء الصين ضعيفة.

د. بر الوالدين والالتزام العائلي:

السردية الرابعة التي تُستخدم لتبرير وتفسير السياسة الخارجية الصينية هي فكرة أن الشعب الصيني والدولة يشكلان "عائلة"، ويُنظر إلى هذا الأمر على أنه مختلف تمامًا عن الغرب، حيث يُنظر إلى الدولة والشعب على أنهما كيانان منفصلان، وأحيانًا متخاصمان، حيث يقوم كل منهما بمراقبة الآخر. وكما تجادل عالمة الأنثروبولوجيا فانيسا فونغ، توجد في الصين "فكرة الأسرة المتخيلة التي تتماهى فيها الصين مع الأم التي عانت طويلًا واستحقت إخلاص أبنائها رغم عيوبها." في هذه السردية، يتم الخلط بين الدولة والدولة الحزبية وتقديمهما كشخصية أبوية، والالتزام العائلي المخصص تقليديًا لوحدة الأسرة متوقع أيضًا لدولة الحزب.27 ويستند الرئيس شي إلى هذه الفكرة في المناقشات العامة، كما تشير صحيفة الشعب اليومية في مقال نشر مؤخرًا: "أشار شي جين بينغ إلى أن الطموح والهدف المشترك لجميع أبناء وبنات الصين هو أن يكون الشعب الصيني حميمًا كأسرة واحدة، وأن يسعى لتحقيق الحلم الصيني بقلب واحد.

4- التوجهات الإقليمية والعالمية للسياسة الخارجية الصينية:

ما هو معروف فإن السياسة الخارجية لأية دولة هي امتداد طبيعي للسياسة الداخلية، ومن ثم فإن متطلبات تحقيق النمو المستدام والاستقرار السياسي استلزمت سياسة خارجية تسعى لتجنب النزاعات وتحقيق السلام لضمان العمل من أجل تحقيق ذلك. ومن ثم فقد قامت السياسة الخارجية الصينية على عدة ركائز أساسية أهمها:

- التركيز على العلاقات الخارجية التي تخدم أهداف التنمية الاقتصادية.
- الابتعاد عن التورط في النزاعات الدولية.
- الاهتمام بالعلاقات مع الدول المتقدمة للحصول على التكنولوجيا والاستشارات، ومع الدول النامية للحصول على الطاقة والموارد الأولية، وعلى كافة الدول لولوج أسواقها وتصريف الإنتاج الصيني الضخم، حيث تحولت الصين إلى "مصنع العالم."
- بناء علاقات استراتيجية مع الدول المهمة وفي مقدمتها الاتحاد الروسي، الولايات المتحدة، فرنسا، ألمانيا، اليابان، وبريطانيا.
- تحويل الجاليات الصينية في الخارج إلى مصدر قوة اقتصادية لجذبها للاستثمار وللسياحة في الصين، وللاستيراد من الصين، مع الابتعاد عن الجوانب السياسية والإيديولوجية التي سادت في مرحلة ماوتسي تونغ.

لماذا من المهم فهم هذه الروايات والسرديات حول دور الصين؟

إن اكتساب فهم أفضل لهذه السرديات يلقي مزيدًا من الضوء على أسباب خيارات السياسة الخارجية الصينية المحددة، سواء اليوم أو في المستقبل. ويمكننا أن نرى ذلك من خلال الطريقة التي تنعكس بها هذه السرديات في الإجراءات التي اتخذتها الصين مؤخرًا في بحري الصين الجنوبي والشرقي، وفي إنشاء البنك الآسيوي للاستثمار، في البنية التحتية وسعيها إلى تنفيذ استراتيجية" الحزام والطريق" .

أ- بحر الصين الجنوبي:

في السنوات الأخيرة، لعبت تصرفات الصين في بحر الصين الجنوبي دورًا رئيسيًا في خلق تصور بأن شيئًا ما قد تغير في نهجها تجاه العالم وتحديدًا أن الصين أصبحت أكثر حزمًا. لطالما طالبت الصين بمناطق بحرية متنازع عليها في بحر الصين الجنوبي.

خريطة بحر الصين الجنوبي

https://www.eia.gov/international/analysis/regions-of-interest/South_China_Sea

وفي الآونة الأخيرة، قامت بعدد من الأنشطة التي تثير قلق جيرانها، وكذلك الولايات المتحدة وحلفائها، مثل أستراليا. فقد استخدمت خفر سواحلها لمراقبة مطالبها في المنطقة بشكل أكثر نشاطاً؛ ووضعت منصة نفطية في المياه المتنازع عليها في المنطقة الاقتصادية الخالصة لفيتنام؛ وقامت بأعمال بناء واستصلاح وتشييد ضخمة في مختلف الجزر في المنطقة، بما في ذلك بناء عدة مهابط للطائرات طويلة بما يكفي لاستيعاب الطائرات العسكرية الصينية. تعكس الإجراءات الأخيرة التي اتخذتها الصين في بحر الصين الجنوبي، والتي قد يجادل هذا التحليل، والإجراءات المستقبلية المحتملة، عددًا من الروايات المذكورة أعلاه. إحدى هذه الروايات هي رواية التاريخ كقدر. ووفقًا لهذا الرأي، تعكس تصرفات الصين في بحر الصين الجنوبي استئنافها التدريجي لمكانتها الشرعية والمحترمة في العالم، أو في هذه الحالة، في المنطقة. ويعكس موقف الصين تجاه المطالبين الآخرين في بحر الصين الجنوبي أيضاً سردية بر الوالدين والالتزام العائلي. ومن هذا المنظور، فإن دور الصين في المنطقة هو دور الأب الإقليمي والمشرف الخيّر على منطقة مسالمة، حيث يدفع جيرانها عن طيب خاطر ودون إكراه الجزية والإجلال. وعلى نفس المنوال، إذا لم يدفع جيران الصين الجزية والإجلال عن طيب خاطر، فإن هذا يبرر اتخاذ تدابير أقوى لضمان احترام هذا النظام العائلي.

إن دور الصين في استعادة مكانتها الصحيحة والمحترمة في العالم، أو في هذه الحالة -منطقة بحر الصين الجنوبي-يعكس موقفها تجاه المطالبين الآخرين بالسيادة على بحر الصين الجنوبي أيضًا خطاب بر الوالدين والالتزام العائلي. إن الدور الذي تلعبه الصين في المنطقة هو دور الأب الإقليمي والمشرف الخيِّر على منطقة مسالمة، حيث يقوم جيرانها بالإشادة والتقدير لأدوارها تلك عن طيب خاطر ودون إكراه.

وعلى المنوال نفسه، إذا لم يقدر ويقبل جيران الصين تلك السياسات والأدوار عن طيب خاطر، فإنهم سيكونون مضطرين إلى تقديم تنازلات -الجزية والإجلال-، وينظر إلى رفضهم وعدم قبولهم تلك السياسات ،مبررا للصين لاتخاذ تدابير أقوى لضمان احترام هذا النظام العائلي.

إن روايات قرن الإذلال والطبيعة غير المتغيرة للخصائص الثقافية، توضح أيضًا كيف ترى الصين الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة في بحر الصين الجنوبي. وتفسر الصين تصرفات الولايات المتحدة، مثل مساعيها الأخيرة للحديث حرية الملاحة البحرية في هذا البحر، وفق المعايير البحرية الدولية، باعتبارها ممارسة خارجية رامية للحد من المجال الطبيعي للصين وبسط هيمنتها على المنطقة، ومنع الصين من استعادة مكانتها الصحيحة في العالم. لدى الصين مصالح اقتصادية كبيرة في مجال صيد الأسماك والتنقيب عن المعادن في بحر الصين الجنوبي، بالإضافة إلى برامج العسكرة البحرية.

وعلى الرغم من ادعاءات الصين بأن مصالحها اقتصادية/ مادية بحتة في بحر الصين الجنوبي ولا تسعى إلى الاستحواذ والهيمنة على المنطقة، يرى كثير من الخبراء والمعلقون-خاصة في الولايات المتحدة- أن الهدف النهائي لبناء الجزر الصينية وعسكرة الجزر في بحر الصين الجنوبي هو السماح لبكين بإنشاء أماكن/موانئ لغواصاتها النووية الحاملة للصواريخ الباليستية. ومع ذلك، لا يتعارض أي من هذه الأنشطة أو الاهتمامات مع الروايات الموضحة في هذا التحليل.